النعمة والحق

9-10 Sep Oct 1995

شذرات العدد:

تبعية الرب

قد تتبع المسيح إلى بحر الجليل فتأكل من الطعام الذي يقدمه لنا، وقد تجلس عند قدميه، وقد ترافقه إلى جبل التجلي، وقد تتبعه إلى جثسيماني ودار الولاية والمحاكمة، ولكن إن تتبعه حتى الجلجثة –حتى الصليب– فإن خطواتك باطلة.

آتي أيضًا

(يو ١٤: ٣)

——

إن مجيئه سينهي رحلة البرية بمتاعبها وسيجمع أبناء الله المتفرقين الآن في كل مكان، وسينهي الأحزان والتجارب والآلام وسيأخذنا من منظر الموت والظلام إلى بيت الآب حيث النور والحياة والمجد. لكن فوق الكل، وأعظم من الكل أننا سنكون معه كل حين إلى الأبد. لقد كان هو معنا هنا في عالم الموت والظلام، وسنكون نحن معه هناك في بيت الآب حيث الحياة والنور والمجد والبهاء إلى الأبد. إنه غرض إيماننا في السماء، ونحن غرض محبته على الأرض. وإن كان كنزنا في السماء فإن كنزه على الأرض. إن كان المسيح قد مضى إلى السماء لكن قلبه مازال هنا على الأرض، وإذا كان قلبه هنا على الأرض فإن شخصه –له المجد– ليس ببعيد عنا

٨- مردخاي

(أنظر سفر أستير)

يطالعنا سفر أستير بجزء كبير من حياة هذا الشخص التقي، لقد سُبي مردخاي مع ابنه عمه الصغيرة هدسة (أستير) من أورشليم مع السبي الذي سُبي مع يكنبا ملك يهوذا الذي سباه نبوخذنصر ملك بابل (٢: ٥، ٦). وقد جرت أحداث هذا السفر في أيام إمبراطور فارس، الإمبراطورية الثانية من الإمبراطوريات الأربع، سيدة أزمنة الأمم حسبما نرى في نبوة دانيال، وبالتحديد في أيا أحشويرش الملك (١:١). وأمانة مردخاي المسبي تذكرنا إلى حد بعيد بأمانة دانيال والفتية الثلاثة، ومن بعدهم نحميا في شوشن القصر (نح٢: ١) أيام حكم أرتحشستا الفارسي، ومثل هذه البقية الأمينة ترمز إلى تلك البقية التقية التي ستبرز في ضيق الأزمنة، وفي نصف الأسبوع الثاني بعد اختطاف الكنيسة بصفة خاصة، وذلك في آخر أزمنة الأمم. وهي ترينا بوضوح كيف أن الله لا يترك نفسه بلا شاهد (أع١٤: ١٧) وأنه كلما ازداد ظلام الحالة الأدبية، كلما ظهر في المشهد رجال أمناء يلمعون بقواهم وأمانتهم للرب.

والآن نتوقف أمام سبع صفات نراها في مردخاي طوال سفر أستير، والواقع فإن معنى اسم مردخاي (إنسان صغير) أو (صائر إلى أحسن) قد انطبق عليه انطباقًا كاملاً، فعلى الرغم من كونه في نظر الكثيرين إنسانًا صغيرًا، سُبى من أورشليم إلى أرض غريبة عنه، وهو مجرد شخص يعمل في شوشن القصر (٢: ٥)، إلا أن أمانته الروحية والزمنية =كما سنرى- جعلته يتقدم إلى الأحسن، فيختم هذا السفر بمردخاي الثاني في المملكة بعد الملك مباشرة (قارن دا٦: ٣، ٢٨).

- شهادة أمينة:

وفي قصر ملك وثني، نرى مردخاي يقف بصلابة ضد تيار الوثنية وشرورها، معتزًا بأصله اليهودي، وشعبه، ونسبته إلى الله العلي. وهو في ذلك كثير الشبه بدانيال الذي وهو بعد فتى نراه يضع في قلبه أنه لا يتنجس بأطايب الملك ولا بخمر مشروبه. لقد كانت "زعانف" مردخاي قوية في سباحته ضد التيار، من لحظة تدوين الوحي لأول ذكر له (٢: ٥) وحتى النهاية، الأمر الذي سنعود إليه بعد قليل مرة أخرى. إن الرب ى يطلب عملاً ضخمًا. ولكنه يطلب قلبًا أمينً له، وحياة تشهد -ربما بدون كلمة- عن الله الحي الحقيقي الذي نعبده.

- أب يتحمل المسؤولية:

لكن عمل مردخاي الزمني لم يقف مانعًا له عن القيام بواجبه العائلي تجاه ابنة عمه أستير: «لَمْ يَكُنْ لَهَا أَبٌ وَلاَ أُمٌّ...... وَعِنْدَ مَوْتِ أَبِيهَا وَأُمِّهَا اتَّخَذَهَا مُرْدَخَايُ لِنَفْسِهِ ابْنَةً» (٢: ٧). ويالها من صورة مؤثرة لمردخاي الإنسان، الذي أشفق على هذه الفتاة الصغيرة من الضياع. فقام بواجبه من نحوها في تربيتها أحسن ما تكون التربية، ووسط أجواء أسوأ ما تكون أدبيًا! ولعل أبرز ما يؤكد لنا نجاحه في تربيتها، هو ما نقرأه بعد اختيار أستير لتكون زوجة لأحشويرش الملك عوضًا عن زوجته المتمردة "وشتي" في (٢: ٢٠) حيث نقرأ «وَلَمْ تَكُنْ أَسْتِيرُ أَخْبَرَتْ عَنْ جِنْسِهَا وَشَعْبِهَا كَمَا أَوْصَاهَا مُرْدَخَايُ(بحكمته). وَكَانَتْ أَسْتِيرُ(وهي الملكة) تَعْمَلُ حَسَبَ قَوْلِ مُرْدَخَايَ كَمَا كَانَتْ فِي تَرْبِيَتِهَا عِنْدَهُ».

- أمين في عمله:

ولأن الأمانة هي العملة الصعبة في زمن الخراب، فكم كان تصرف مردخاي حسبما نقرأ في (٢: ٢١-٢٣) أثره البالغ في حينه (٢: ٢٣)، بل وأمتد تأثيره إلى ما بعد ذلك في وقت حرج (٦: ١-٤)! فللأمانة ذكر خاص لا ينمحي بمرور الزمن. فبينما كان مردخاي جالسًا في باب الملك، غضب بغثان وترش خصيا الملك حارسا الباب، وطلبا أم يمدا أيديهما إلى الملك أحشويرش (أي يقتلاه). فعلم الأمر عند مردخاي الذي أخبر أستير الملكة، فأخبرت الملك باسم مردخاي، ففحص الأمر ووجد. فصُلبا كلاهما (بغثان وترش) علىا خشبة، وكتب ذلك في سفر أخبار الأيام أمام الملكّ

ليتنا نكون أمناء في أعمالنا الزمنية نظير مردخاي، فلا يجد فينا الآخرون خطأ، ولا عيبًا ولا ذنبًا(دا٦: ٤) من جهة، ونكون إيجابيين في ضمائرنا تجاه مصلحة من أوكلونا على أعمالهم الزمنية من الجهة الأخرى.

- أمين فيما لله:

«لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ» (مت٤: ١٠)، « يَنْبَغِي أَنْ يُطَاعَ اللهُ أَكْثَرَ مِنَ النَّاسِ(أيًا كانوا)» (أع٥: ٢٩). «بَعْدَ هذِهِ الأُمُورِ عَظَّمَ الْمَلِكُ أَحَشْوِيرُوشُ هَامَانَ بْنَ هَمَدَاثَا الأَجَاجِيَّ وَرَقَّاهُ، وَجَعَلَ كُرْسِيَّهُ فَوْقَ جَمِيعِ الرُّؤَسَاءِ الَّذِينَ مَعَهُ. فَكَانَ كُلُّ عَبِيدِ الْمَلِكِ الَّذِينَ بِبَابِ الْمَلِكِ يَجْثُونَ وَيَسْجُدُونَ لِهَامَانَ، لأَنَّهُ هكَذَا أَوْصَى بِهِ الْمَلِكُ. وَأَمَّا مُرْدَخَايُ فَلَمْ يَجْثُ وَلَمْ يَسْجُدْ» (قارن مع تصرف الرجال الثلاثة في (دا٣)؛ ومع دانيال نفسه في شيخوخته (دا٦)). وعندما سأل عبيد الملك مردخاي عن سبب ذلك التعدي على أمر الملك أخبرهم أنه يهودي! ويالها من أمانة لله. لقد كان مردخاي يعرف أن تصرفه هذا قد يكلفه حياته ذاتها، إلا أنه كان يفضل الموت شهيدًا عن أن يحيا عبدًا ذليلاً للناس، ويعصى الرب إلهه! ولربما كان لما ورد في نبوة دانيال قبل مردخاي بسنوات عديدة، ما

شجعه على حياة الأمانة نظير دانيال ورفقائه الذين لم يخضعوا للظروف، والأمر الواقع، ولم يسايروا العامة...الخ من الأمور التي كثيرًا ما نرى شعب الله في وقتنا الحاضر لا يقيم لها وزنًا كبيرًا بكل أسف، بل لقد استمر هؤلاء أمناء حتى الموت (رؤ٢: ١٠)، أي حتى ولو كلفهم ذلك حياتهم فهم على استعداد.

- <u>مضطهد لتقواه:</u>

«وَجَمِيعُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَعِيشُوا بِالتَّقْوَى فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ يُضْطَهَدُونَ» (٢تي٣: ١٢)، فكان متوقعًا أن يُضطهد مردخاي، على أن إبليس ممثلاً في هامان عدو الله وعدو شعبه رأي في ذلك فرصة سانحة لتدبير مكيدة خبيثة للقضاء على الجنس اليهودي بأكمله في ال (١٢٧) ولاية الخاضعة لحكم أحشويرش! (١: ١؛ ٣: ٥-١٥). ولما علم مردخاي كل ما عُمل من مكيدة ضده وضد شعبه كله، شق ثيابه ولبس مسحًا برماد وخرج إلى وسط المدينة وصرخ صرخة عظيمة مرة (ص٤). ولقد امتدت هذه المناحة، وهذا المسح والنحيب والغم ليشمل كل الشعب اليهودي في كل كورة (بلدة) وصل إليها أمر الملك وسنته، واغتمت أستير عندما أخبروها الجوارى والخصيان....ويالها من تجربة قاسية! وعندما أرسلت أستير خصيًا إلى مردخاي لتعلم ماذا ولماذا، أوصى مردخاي أستير بأن تدخل وتطلب من الملك لأجل شعبها. وهنا ردت عليه أستير بأن هذا مجازفة، فغن كل رجل دخل أو امرأة إلى الملك إلى الدار الداخلية ولم يُدع فشريعته واحدة: أن يُقتل! إلا الذي يمد له الملك قضيب الذهب فإنه يحيا، وأستير لم تُدع لتدخل إلى الملك هذه الثلاثين يومًا. وهنا يرد مردخاي على أستير «لاَ تَفْتَكِرِي فِي نَفْسِكِ أَنَّكِ تَنْجِينَ فِي بَيْتِ الْمَلِكِ دُونَ جَمِيعِ الْيَهُودِ. لأَنَّكِ إِنْ سَكَتِّ سُكُوتًا فِي هذَا الْوَقْتِ(بالذات) يَكُونُ الْفَرَجُ وَالنَّجَاةُ لِلْيَهُودِ مِنْ مَكَانٍ آخَرَ، وَأَمَّا أَنْتِ وَبَيْتُ أَبِيكِ فَتَبِيدُونَ». ثم يشجعها على يد هتاخ الخصي قائلاً: «وَمَنْ يَعْلَمُ إِنْ كُنْتِ لِوَقْتٍ مِثْلِ هذَا وَصَلْتِ إِلَى الْمُلْكِ؟. فَقَالَتْ أَسْتِيرُ أَنْ يُجَاوَبَ مُرْدَخَايُ: اذْهَبِ اجْمَعْ جَمِيعَ الْيَهُودِ الْمَوْجُودِينَ فِي شُوشَنَ وَصُومُوا مِنْ جِهَتِي وَلاَ تَأْكُلُوا وَلاَ تَشْرَبُوا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ لَيْلاً وَنَهَارًا. وَأَنَا أَيْضًا وَجَوَارِيَّ نَصُومُ كَذلِكَ. وَهكَذَا أَدْخُلُ إِلَى الْمَلِكِ خِلاَفَ السُّنَّةِ. فَإِذَا هَلَكْتُ، هَلَكْتُ. فَانْصَرَفَ مُرْدَخَايُ وَعَمِلَ حَسَبَ كُلِّ مَا أَوْصَتْهُ بِهِ أَسْتِيرُ» وهنا نتوقف عند تصرف مردخاي. فأما أولاً فهو لم يضع ثقته في أستير كوسيلة لإنقاذه وشعبه، بدليل قوله لها «لأَنَّكِ إِنْ سَكَتِّ سُكُوتًا فِي هذَا الْوَقْتِ يَكُونُ الْفَرَجُ وَالنَّجَاةُ لِلْيَهُودِ مِنْ مَكَانٍ آخَرَ» ويالها من ثقة مطلقة في الله، واتكال مطلق عليه لا على الناس أياً كانوا. هل يعسر على الرب أمر؟ لقد ناح وصام واثقًا في أن الله سينقذهم لأنهم يُضطهدون لسبب أمانتهم له. وفي طلب أستير لمردخاي أن يجمع جميع اليهود ويصوموا من جهتها، وأن تصوم هي أيضًا

وجواريها، دليل آخر قوي على نجاح تربية مردخاي لها في خوف الله. وما أروع تأثير الصلاة الجماعية (انظر تصرف دانيال في دا٢: ١٧، ١٨، وقارن مع الكنيسة بخصوص بطرس في أع١٢: ٥). ليت سبيل مردخاي وتصرفه وثقته في إلهه تكون نصيبنا نحن أيضًا في وقت الشدائد.

- إنقاذ الرب له وثبات موقفه:

ودخلت أستير ومد لها الملك قضيب الذهب لتحيا..(اقرأ ص٥)، وفي تلك الليلة طار نوم الملك! (٦: ١، قارن مع دا٦: ١٨). وذكر الملك معروف مردخاي السابق إليه، وانتهت التجربة بأن عُلق هامان الردئ على الخشبة التي أعدها لمردخاي!

ولكن نجاة مردخاي وأستير لم تنسهما ما لشعبهما! فكانا على موقفهما ثابتين، وفي زمان يطلب فيه الجميع ما هو لأنفسهم، لا ما هو لآخرين أيضًا، ما أحوجنا إلى تصرف مردخاي وأستير في هذا الموقف (ص٨) فنرى أحشويرش يأمرهما «فَاكْتُبَا أَنْتُمَا إِلَى الْيَهُودِ مَا يَحْسُنُ فِي أَعْيُنِكُمَا بِاسْمِ الْمَلِكِ، وَاخْتُمَاهُ بِخَاتِمِ الْمَلِكِ، لأَنَّ الْكِتَابَةَ الَّتِي تُكْتَبُ بِاسْمِ الْمَلِكِ وَتُخْتَمُ بِخَاتِمِهِ لاَ تُرَدُّ»(٨:٨). ثم يأمر مردخاي أخوته اليهود في كل مكان بالقضاء على قوة كل شعب وكورة تضادهم (ع١١). ليت قلوبنا تمتلئ بمثل هذه الغيرة المقدسة على حال إخوتنا من حولناّ.

- مكافأة الأمانة هنا وهناك:

«حَاشَا لِي! فَإِنِّي أُكْرِمُ الَّذِينَ يُكْرِمُونَنِي، وَالَّذِينَ يَحْتَقِرُونَنِي يَصْغُرُونَ» (١صم٢: ٣٠) وفي حين انطبق الجزء الأول من قول الرب هذا على مردخاي الأمين، فإن الجزء الثاني منه ينطبق على هامان الردئ تمام الانطباق. أما مكافأة مردخاي هما فكانت ما يرد في (١٠: ٣):

١. ثاني الملك احشويرش.
٢. عظيمًا بين اليهود.
٣. مقبولاً عند كثرة أخوته.

كما كان طالبًا الخير لشعبه، متكلمًا بالسلام لكل نسله.

وقريبًا جدًا سيلمع مردخاي عندما يقوم لقرعته في نهاية الأيام مع كل مبارك ومقدس، جميع الذين لهم نصيب في القيامة الأولى (الأفضل) (رؤ٢٠: ٦) لينال مكافأة من الرب يسوع نفسه، ويكون المدح له من الله.

ليت مثاله يكون حافزًا لنا لحياة الأمانة للسيد والخدمة لقطيعه الغالي إلى أن يأتي سيدنا الذي له كل المجد.

افتتاحية العدد

مقادس

إننا في أمس الحاجة ولا شك إلى المزيد من أوقات الشركة الهانئة، والفرص الهادئة للاختلاء بالرب، ولاسيما في هذه الأزمنة الصعبة (أو الخطيرة). فهكذا كان سبيل الأتقياء والأمناء في كل عصر، الأمر الذي مكنهم من الثبات في أيام تزعزع فيها كل منظور، إذ تثبتت عيونهم وتعلقت قلوبهم بملك الدهور، الذي وحده «يبقى» في حين أن «كلها تتغير».

وأما عرش النعمة حيث تنسكب القلوب، ولا يكون أمام القلب والذهن سوى الله، تُعالج نفوسنا وتقوم طرقنا، ونعرف شخصه أعمق وندرك طرقه أكثر، ونتأيد بالقوة بروحه في الإنسان الباطن، فتعيننا على الثبات في اليوم الشرير»، فنذهب من «قوة إلى قوة» ومن «مجد إلى مجد».

وهي فرصة ثمينة نتعلم من خلالها من نحن، ومن هو الله. صحيح أن ظروف البرية تعلمنا شيئًا غير قليل عن هذا وذاك، غير أن الأمر مختلف تمامًا عندما نأتي أمام العرش حيث نُدرك حقيقة أنفسنا كما يرانا هو، وندرك محبته ونعمته كما هي. قد ندرك شيئًا عن فساد قلوبنا، لكن دخولنا إلى المقادس يرينا مدى عمق هذا الفساد. وقد ندرك شيئًا عن كفاية نعمته لكن المقادس وحدها هي التي تعلمنا ما هو «غنى نعمته الفائق» و «محبته الكثيرة» ومن هو«الغني في الرحمة»! هذا الأمر يختبره الخاطئ الراجع إلى الله كما نرى في المرأة التي كانت خاطئة في (لو٧). وهو عين ما يختبره المؤمن في شركته مع الرب نظير إشعياء بحسب ما نرى في (إش٦).

إن مقادس الله هي عين ما يحتاجه الفاشل (مز٧٣: ٢-١٢، ١٧)، والخائر (حب٢، ٤: ١٩)، والمتألم (يع٥: ١٣)، والخادم (كو١: ٢٧، ٤: ١٢)...بل وكنيسة الله (١تي٢).

فإلى المخدع هل نعود؟....هل نعود؟؟

الأخبار السارة:

هل يستحق العالم أن تحيا لأجله؟

عشت لأجل العالم عشرين عامًا، ابحث عن السعادة وإشباع شهواتي بالرقص والحفلات وسباق الخيل والمراهنات، والملاهي والمهرجانات، والتمتع من صنف ولون. وبعد ذلك ملأني التفكير في الموت والدينونة العتيدة، ملأني ذلك بالرعب والفزع. وبالتالي لم أجد ما كنت ابحث عنه ساعيًا وراءه، ألا وهو الفرح الحقيقي!

ذهبت بعد ذلك إلى كنيسة وانتظمت في حضور الاجتماعات، وأصبحت مدرسًا للأولاد الصغار بمدارس الأحد. وكنت شابًا مهذبًا وظريفًا، اقرأ الكتاب المقدس وأفكر فيه.

لكن تديني هذا –نظير الملذات الأولى– لم يعطيني في النهاية سوى القليل من الشبع المؤقت!

وذات يوم سألني صديق ليَّ ''هل يستحق العالم أن تحيا لأجله؟''. حاولت من التهرب من التفكير في هذا السؤال الفاحص، وابتعدت عن ذلك الصديق، إذ لم أطق أن يكون هناك شيء يعكر صفو سلامي "المزيف"، مثل التفكير في الأبدية. إلا أنني في الواقع لم أتمكن من الهرب من ذلك السؤال: "هل هذا العالم هو كل ما تحيا لأجله؟" كنت أعرف أن العالم لا يستحق أن أحيا لأجله، وكنت أعرف أن هناك أبدية تواجهني، وأعلم أم مصيري سيكون في مكان من اثنين لا ثالث لهما، إما في السماء في النعيم، أو في هاوية الجحيم. وكنت مدركًا لحالتي كخاطئ يعيش في حالة العصيان على الله –حتى في فترة التدين هذه– وكنت موقنًا أنني في الطريق إلى الجحيم، وكنت بائسًا بكل معنى الكلمة.

وعزمت في نفسي أن أحيا بصورة مختلفة، وبدأت أقلع عن السب (الشتيمة)، والقسم وكنت أشدد على أصدقائي في أهمية اللسان العف النظيف..لكن هذا كله لم يعطيني الراحة المنشودة ولا السلام والفرح اللذان أبحث عنهما.

طلبت من الله الرحمة، وذات يوم شعرت بالسلام يغمر نفسي عندما برز أمامي ذات صباح يوم أحد عدد من ترنيمة شهيرة يقول فيها المرنم: ''واحد يفوق الجميع....أنظر كم يحبك!''..وسألت نفسي: هل يمكن أن يحبني الله فعلاً؟ وجاءتني الإجابة في لحظة بواسطة إحدى آيات الكتاب المقدس «لأَنَّ الْمَسِيحَ، إِذْ كُنَّا بَعْدُ ضُعَفَاءَ، مَاتَ فِي الْوَقْتِ الْمُعَيَّنِ لأَجْلِ الْفُجَّارِ» (رو٥: ٦). وقلت لنفسي: إن هذه الأقوال تنطبق عليَّ تمامًا، فأنا أثيم هالك بلا رجاء. وإن كان المسيح قد مات لأجل هذه الفئة "الضعفاء"..."الفجار"..."الأعداء"، وإذ أنتمي أنا إلى ذات الفئة، فإن المسيح يكون قد مات

لأجلي بكل يقين. وفي الحال وضعت ثقتي فيه، وقبلته مخلصًا شخصيًا لحياتي، وتم فيَّ المكتوب «وَلْيَمْلأْكُمْ إِلهُ الرَّجَاءِ كُلَّ سُرُورٍ وَسَلاَمٍ فِي الإِيمَانِ، لِتَزْدَادُوا فِي الرَّجَاءِ بِقُوَّةِ الرُّوحِ الْقُدُسِ» (رو١٥: ١٣). لقد خلصت إلى الأبد! مجدًا للرب!

ربما كنت شيخًا كلل الشيب رأسك، وتقدم العمر بك. أرجع بذاكرتك طوال سني حياتك الطويلة الماضية. ماذا سترى؟ وهل يستحق هذا العالم أن يحيا الإنسان لأجله؟

وربما تكون في مرحلة الرجولة، وتحسب أن في العمر بقية تكفي للتفكير في مثل هذه الأسئلة، فتستغرق في عملك وفي أمور عائلتك...توقف أيها العزيز الآن وأسأل نفسك ذات السؤال الخطير: هل يستحق هذا العالم أن تحيا لأجله؟

وربما تكون شابًا فتقول في نفسك: إن الموت أبعد ما يكون عنى! لقد عاش أجدادي عمرًا طويلاً مديدًا، ولا يزال أبواي حيين. إذًا فأمامي متسع من الوقت. لكن أرجوك أن تفكر الآن فيما يقوله لك الله: «لاَ تَفْتَخِرْ بِالْغَدِ لأَنَّكَ لاَ تَعْلَمُ مَاذَا يَلِدُهُ يَوْمٌ» (أم٢٧: ١). كثيرون انتهت حياتهم وهم في مثل سنك، وعندما كانوا أحياء، كانوا يتمتعون بصحة نظيرك. وبدون شك كان لديهم أمل كبير في عمر مديد..لكنهم رحلوا...وتُرى إلى أين ذهبوا؟

إنك إن حصلت على كل ما تتمنى من ثروة ومجد ومتعة في هذا العالم، فماذا سيربح وماذا ستنتفع لو ربحت العالم كله، وخسرت نفسك الخالدة الغالية؟ ربما تقول: إني مازلت صغيرًا وأريد الاستمتاع بحياتي...صديقي: إن كنت تريد أن تستمتع بحياتك حقًا، تعال إلى المسيح ففيه وحده الفرح الحقيقي.

أعزائي الشباب: هل هذا العالم هو كل ما تعيشون في سبيله؟

استمع إذًا أيها العزيز لصوت الإنجيل معلنًا أن الله يحبك أنت شخصيًا، وأن المسيح على الصليب قد سفك دمه الثمين ومات ليخلصك من الدينونة العتيدة والنار الأبدية. فهل تؤمن به؟ وهل تفتح له باب قلبك وتسلمه حياتك بجملتها؟ «اللهَ أَعْطَانَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَهذِهِ الْحَيَاةُ هِيَ فِي ابْنِهِ مَنْ لَهُ الابْنُ فَلَهُ الْحَيَاةُ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ ابْنُ اللهِ فَلَيْسَتْ لَهُ الْحَيَاةُ» (١يو٥: ١١، ١٢)، «آمِنْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَتَخْلُصَ أَنْتَ وَأَهْلُ بَيْتِكَ» (أع١٦: ٣١).

محاضرات في رسالة رومية

(١١) تابع ما قبله

--

تناولنا في الحلقة الماضية مفهوم العتق بحسب (رو٦، ٧). وكيف أن يتطلب إدراك موت المسيح، واتحادنا مع المسيح في موته. وانتهينا إلى أن المسيح –له المجد– هو الجواب في شخصه، وفي عمله لكل مشاكل النفس واحتياجاتها.

--

وفي (ص٨) نرى هذا الحق المعزي واضحًا في ملئه، ففي (ع١-١١) نجد التطبيق العملي لموت المسيح وقيامته حيث نرى قوة الروح القدس في الإتيان بالمؤمن إلى العتق الكامل.

«إِذًا لاَ شَيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ(الإدانة)الآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ......لأَنَّهُ مَا كَانَ النَّامُوسُ عَاجِزًا عَنْهُ، فِي مَا كَانَ ضَعِيفًا بِالْجَسَدِ، فَاللهُ إِذْ أَرْسَلَ ابْنَهُ فِي شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيَّةِ، وَلأَجْلِ الْخَطِيَّةِ، دَانَ الْخَطِيَّةَ(التي) فِي الْجَسَدِ» طريق عجيب ومبارك جدًا. وهنا نجد الإدانة الكاملة لذلك الشيء الشرير؛ الطبيعة الخاطئة في وضعها الحالي وهذه هي النقطة الجوهرية هنا. ومجدًا لله الذي أتم تحرير المؤمن من الإدانة لسبب وجودها فيه، فلقد فعل الله ذلك –وأدانها– في المسيح. وهذا ليس مبنيًا على دم المسيح بل على أساس موته. لا شك أن سفك دمه الكريم كان أمرًا حيويًا جداً، فبدون قيمته المتميزة فإن كل شيء يصبح مستحيلاً ويسمى هباء. إن الدم لازم جدًا لغفران الخطايا. أما الخطية فكانت تحتاج إلى موت المسيح. إن في المسيح ما هو أبعد جدًا مما يظن الكثيرون من المؤمنين، الأمر الذي يجعل هؤلاء محصوري الفكر الروحي، ويقلل من إكرامهم وتعظيمهم لشخصه المجيد. لقد دان الله الجسد، وهنا نعود فنكرر أن المسألة ليست فقط العفو عن الخاطئ، ولكن إدانة الطبيعة الساقطة. وهذا ما يعطي النفس القوة والحصانة الصحيحة ضد كل ما قد يؤثر علينا نتيجة لوجود هذه الطبيعة الساقطة فينا. إن الحق هنا يعلن أن الله قد دان الخطية التي في الجسد، وذلك في شخص المسيح، لاحظ أنها الخطية بالتحديد (لا الخطايا). ولذلك فليس عند الله المزيد من الإدانة لأصل الشر هذا. وياله من أمر عظيم أن يُستعلن أمامنا الآن شخص المسيح، ليس فقط كمن مات، ولكن كمن قام أيضًا. وقيامته هذه تؤكد لي كمؤمن إنني فيه كما هو الآن، وموضوع الخطية قد سوّى على الأبد، فتنتهي بذلك كل تساؤلاتي المؤلمة، وأتحول إلى السلام والفرح فأي أمر بقي لم نجد له حلاً في المسيح وبواسطة عمله؟ مرة كان الأمر يبدو عسيرًا وبعيد المنال، وذلك قبل

الصليب حيث كانت هناك أشد التساؤلات المؤلمة يبحث عن إجابة شافية. وجاءت الأجوبة في الصليب. ففي المسيح أُلغيت الخطية بالنسبة للمؤمن، وهذا قد تم ليس فقط بموته وقيامته، بل أيضًا بما هو عليه –تبارك اسمه– في ذاته. فقبل الصليب كانت النفوس المتجددة تأن وتتأوه في بؤس عند كل اكتشاف جديد لنفسها وما فيها من أصل مرير. ولكن الآن، وبعد الإيمان بالمصلوب، فإن كل هذا قد ذهب بغير رجعة. وهذا ليس افتراضًا، بل هو واقع حقيقي في نظر الله. ولذا فإن علينا الآن أن نحيا في المخلص الذي قام من الأموات بحياة جديدة.

ولذلك فإن (رو٨) يتتبع الحرية التي لنا الآن مع المسيح وفيه بطريقة عملية عظيمة. وبادئ ذي بدء نجد الأساس لهذا الحق المجيد في الأربعة أعداد الأولى، والتي يقودنا الرسول في نهايتها إلى السلوك العملي في الحياة اليومية. وحسن لنا إن كنا نجهل ذلك، أن نعرفه ونفهمه هنا في (ع٤) حيث يتحدث الرسول أولاً عن «السلوك ليس حسب الجسد، بل حسب الروح». والفقرة الأخيرة من (ع١) بحسب الترجمة الدقيقة[١]تعطينا الانطباع الصحيح. وفي (ع٤) لا يغيب عنا ذات الحق الذي كان ينبغي بالفعل ألا يُعلن في العدد الأول. ولذلك فإن العتق ضروري ليس فقط لكي تفرح النفس، ولكن أيضًا لكي تتقوى في السلوك بحسب الروح (القدس)، الأمر الذي يعطي طاقة للطبيعة التي تسر قلب المؤمن وتتوافق مع سروره في المسيح، وتؤدي إلى عمل الطاعة والخدمة بفرح. والمؤمن في الواقع عندما يعجز عن السلوك بحسب ما يقتضيه مقامه الجديد، والقوة المعطاة له، فإنه بذلك –رغمًا عنه– لا يكرم المخلص. إن المؤمن مدعو، بل وله المقدرة الآن، أن يسلك بحسب مقامه الرفيع، واثقًا في العتق والحرية التي له في المسيح يسوع أمام الله.

وهنا يبرز أمامنا الصراع بين الجسد والروح. الأول يتميز بالخطية والموت العملي حاليًا. أما الثاني فيتميز بالحياة والبر والسلام، الأمر الذي جاء تتويجًا لقيامتنا مع المسيح. بل وأن الروح القدس الذي يعطي نفوسنا تأكيدًا الآن بالعتق في المسيح، هو يشهد أيضًا أن الجسد المائت لابد أن يتحرر في وقته بدوره أيضًا. فيقول: «وَإِنْ كَانَ رُوحُ الَّذِي أَقَامَ يَسُوعَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَاكِنًا فِيكُمْ، فَالَّذِي أَقَامَ الْمَسِيحَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَيُحْيِي أَجْسَادَكُمُ الْمَائِتَةَ أَيْضًا(من أجل روحه) بِرُوحِهِ السَّاكِنِ فِيكُمْ» (ع١١).

ثم ينتقل الرسول بعد ذلك إلى فرع آخر من الحق، وأعني به الروح القدس ليس كحالة تناقض مع الجسد (مع أن هذا صحيح كما نرى في الكتاب). ولكن باعتباره القوة، الأقنوم الإلهي الساكن فينا كمؤمنين، والذي يشهد لنا، ويشهد مع أرواحنا أننا أولاد الله. وإذ نحن أيضًا ورثة. وإذ

---

[١]–عبارة «السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح» في نهاية (ع١) غير موجودة في أدق النسخ، وهي واردة في (ع٤) فقط..(المجلة)

أن هذا مرتبط بالعتق من الجسد فهو يقود بالتالي إلى امتلاكنا الفعلي للميراث، وهذا يذهب بنا إلى الله ومن هو في ذاته، وماله (الكون كله). كل ما هو تحت المسيح. وما الذي ليس تحت سلطانه تبارك اسمه؟ إذ قد جعله الله وارثًا لكل شيء. فنحن الآن ورثة الله ووارثون مع المسيح.

ولذلك فإن الروح القدس نراه هنا يقوم بعمل مزدوج. فإذا هو نبع أفراحنا، فإنه أيضًا نبع تعزياتنا في أحزاننا. وكل مؤمن يعرف الأمرين تمام المعرفة. فإن أمانة المسيح قد جلبت الفرح الإلهي إلى النفس (إذ قد أعتقت). ولكن هذه النفس في الواقع تعبر عالمًا مليئًا بالضعف والألم والحزن. وكم هو جميل ومعزي أن نفكر كيف أن روح الله يربط نفسه بنا في جميع هذه المواقف. فهو يتنازل ويعطينا مشاعر إلهية معزية ومشجعة في قلوبنا المسكينة الضيقة. وهذا الأمر نراه يحتل الجزء المركزي في هذا الإصحاح، والذي يختم بعد ذلك بقوة الله الثابتة لنا في كل اختباراتنا وتجاربنا هنا. وإذ قد أعطانا –تبارك اسمه– غفرانًا كاملاً بواسطة دم المسيح، فإننا سنخلص بحياته. كما وقد جعلنا نعرف حتى الآن عظمة العتق العملي من كل شعور بالخطية التي تنتمي إلى طبيعتنا بالتمام. ولنا الروح القدس الذي يقربنا من جو المجد العتيد الذي ينتظرنا. ولنا الرحمة وسط الآلام التي نعاني منها نتيجة ما لم نخلص منه بعد حتى الآن. على أنه لدينا يقين كامل في كل الأحوال بأن الله لنا، ولا يوجد أي شيء يمكن أن يفصلنا عن محبته التي في المسيح يسوع ربنا.

﴿يُتبع﴾

مصطلحات كتابية

الحلقة الثامنة

٣٦- الصلاة Prayer

هي الوجه المقابل للتسبيح. فالتسبيح هو فيض الفرح من قلب شبعان، أما الصلاة فهي التعبير عن الاحتياج. وغالبًا ما يقترنا معًا. والصلاة امتياز ثمين لكل أولاد الله، وهي ثلاث أنواع.

الأول نراه في (لو١٨) وفيه نرى اللجاجة في الصراخ إلى الله كتعبير عن الاحتياجات الضاغطة للنفس، في الضيقات في الظروف الصعبة بصفة خاصة، حين لا يوجد المؤمن أحدًا من البشر يقف إلى جواره، وعندما لا يكون أمامنا مصدر نصرخ إليه سوى الله ذاته.

وفي (في٤) نقرأ عن نوع آخر من الصلاة، فيه نتقدم إلى الله بكل ما يشغل قلوبنا وأذهاننا، ويملأنا اليقين باستماع الرب لنا. وإذ نلقي بأحمالنا وهمومنا عليه، منتظرين استجابته في الوقت المعين منه، وبالكيفية التي يراها تبارك اسمه؛ فإن السلام يملأ قلوبنا ونشعر بالراحة. وهنا نرى اللجاجة كما في (لو١٨)، إذ أن التركيز في (في٤) هو على الإحساس المبارك بأن الله يسمعنا وأنه في وقته المعين يسرع بالاستجابة.

والنوع الآخر نراه في (١يو٥: ١٤، ١٥)، حيث نرى صلاة الإيمان بحسب مشيئة الله. وفيها ليس فقط نتيقن من أنه يسمعنا، ولكن أيضًا نوقن أن لنا الطلبات التي سألناها منه. وهذا هو أسمى مستوى في الصلاة.

وهكذا نرى في النوع الأول: الصلاة كتعبير عن الاحتياج الشديد الضاغط، وأنها تحرك لحسابنا قوة الله ومحبته.

وفي الثانية نرى الثقة المطلقة في الله، واليقين الراسخ في أنه يعمل الأفضل دائمًا؛ الأمر الذي يؤدي إلى أن يحفظ سلام الله الذي يفوق كل عقل؛ قلوبنا وأفكارنا في المسيح يسوع.

وفي النوع الأخير نرى الصلاة بفطنة وبفهم مشيئة الله، صلاة في الإيمان وبحسب نظرة الإيمان وهي أسمى أنواع الصلاة. وما علينا إلا أن ننتظر ونتوقع الاستجابة من قبل حتى ظلان نصلي..ولكن في كل شيء بالصلاة والدعاء مع الشكر لتُعلم طلباتنا لدي الله.

٣٧- التسبيح (أو الحمد) Praise

هي الذبيحة التي نقدمها لله كثمر شفاه لقلوب فائضة، ونقدمها باعتبارنا كهنة مقدسين. وهي تعبير عام يشمل أيضًا الشكر والسجود: الشكر لأجل كل ما عمله الله لأجلنا؛ والسجود لما هو

الله في ذاته. والسجود –بكل يقين – هو أسمى درجات التسبيح؛ إذ فيه ننسى ذواتنا وكل شيء ولا يكون أمام قلوبنا إلا الله ذاته.

٣٨- الشركة (أو الاشتراك) Communion

وتعني التمتع العملي بالأفكار المشتركة. ولكي نتمتع بها علينا أن نتحرر من ذواتنا، ومن اهتمامنا، وقبل الكل أنتكون لنا طبيعة إلهية جديدة تفهم أمور الله وتقدرها، ويجب أن يكون لنا قلب ملتهب يريد أن يفهم مشيئة الله واختبارها عمليًا.

والشركة في الكتاب هي مع بعضنا البعض (أع٢: ٤٢؛ ١يو١: ٧)، مع المسيح (١كو١: ٩)، ولنا كمؤمنين اشتراك وشركة في جسد الرب ودمه)١كو١٠: ١٦)، ولنا شركة الروح القدس (٢كو١٣: ١٤)، ونشترك في الإنجيل (في١: ٥)، وفي آلام المسيح (في٣: ١٠)، وفي العطاء المادي..الخ (عب١٣: ١٦؛ ٢كو٨: ٤). ولنا شركة مع الآب ومع ابنه (١يو١: ٣).

٣٩- الشركة Fellowship

أما شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه، كما أن شركة كمؤمنين بعضنا مع بعض، وطالما كنا نسير في النور، فإنه باستطاعتنا التمتع عمليًا بهذه الشركة. ولنا شركة في غرض واحد وفكر واحد. وذات التعبير يستخدمه كثير من المؤمنين الأتقياء بخصوص مائدة الرب، فأولئك الذي يكسرون الخبز، يعبرون عن شركتهم معًا أمام الرب.

وهي تعني أيضًا "رفقة" أو "زمالة"، وهي أقوى في التعبير من (Communion)

٤٠- السجود Worship

هو التسبيح والتعبد (الإعجاب) ألخشوعي بالله لما هو على النقيض عليه في ذاته –تبارك اسمه– وكما أُعلن لنا في المسيح يسوع. والسجود المسيحي يقف على النقيض من السجود اليهودي، فهو بالروح وليس طقسيًا، وهو بالحق أيضًا. والسجود هو فيض القلب، وهو بعكس التعليم الذي فيه يقبل القلب الحق الإلهي. ففي التعليم القلب يستقبل. أما في السجود فهو يفيض عطاء. وسماع العظات الجميلة أمر عظيم. ولكنه ليس سجودًا بأي حال من الأحوال. ولعل فرصة صنع عشاء الرب هي أثمن الفرص وأبرزها في تقديم السجود (ولكنها ليست الوحيدة بالطبع). والمؤمنون الساجدون في القداس عينها (عب١٠) مقبولون في شخص المسيح ويشتم الله من سجودهم روائح الرضا والسرور.

دراسات مسلسلة

السجود

(٨)- تابع ما قبله

تحدثنا في الحلقة الماضية عن لزوم سكنى الروح القدس في الساجد، وجماعية السجود بالروح الواحد، وانتهينا إلى أهمية نقاء الحياة الفردية في تقديم السجود الجماعي. ويتواصل بحثنا...

--

هذه الملاحظات تقودني للإشارة إلى مبدأ آخر خطير، وهو أن الروح القدس هو القوة والمصدر الحي الوحيد لكل سجود صحيح وعبادة حقيقية. وهذا الحق عام ويصدق على سائر تدريبات الحياة الروحية. فينبغي أن نحيا بالروح، ونسلك بالروح، ونعبد بالروح والحق. كيف لا والروح القدس هو ضد الخطية الساكنة فينا، وهو يعمل في أعضاء جسد المسيح الواحد كمصدر لكل بركة وغبطة تنحدر إلينا. ومع أن له السلطان المطلق للعمل كما يشاء، غير أنه يعمل حسب مقدرة كل واحد الروحية، مستخدمًا قوته المطلقة ليعبر عن الحاثيات التي تناسب الجماعة أمام الله، مطعمًا إياها ومقويًا لها بالنعمة. على هذا النمط يعمل الروح القدس، فمتى اجتمع المؤمنين معًا كأعضاء جسد المسيح، وكل عضو يعمل في مركزه بواسطة الروح القدس، فإن الباب يصبح مفتوحًا ليمارس كل واحد موهبته لبنيان الجسد. وأقول لبنيان الجسد لأن التبشير موجه إلى أهل العالم. ولكن متى كان غرض الجماعة الأول من اجتماعها هو السجود، عندئذٍ ينفتح المجال واسعًا لممارسة المواهب لبنيان الجسد. ولو أن ممارسة المواهب ليست هي غرض اجتماعات السجود والعبادة.

هذا ما نراه بكل وضوح في (١كو١٤)، حيث نطالع الكلام الواضح البين عن ممارسة المواهب متى اجتمعت الجماعة، وعن الإشارات اللازمة لأجل الترتيب في ممارستها. ومن السهل فهم هذه الأقوال إذ أن الجماعة تجتمع كجسد المسيح، والروح عامل بواسطة أعضاء هذا الجسد الذي ينال البنيان من كل ما يقوم به العضو حسب الموهبة التي قسمها له الروح، والتي يمارسها بإرشاد الروح القدس. غير أن الأمر الرئيسي في الموضوع هو الاقتراب من الله نفسه. وما ممارسة المواهب إلا وسائل، لأن فرح المحبة في حضرة الله عند تقديم السجود إليه هو غايتنا الدائمة هنا وفي الأبدية. فستبطل المواهب في السماء، وينقطع الجهل الذي يحوجنا إلى التعلّم، والكسل الذي يعوزنا إلى الوعظ والتحريض. أما السجود -فشكرًا لله- لن يتعطل إلى الأبد. وغير خاف أن خدمة الكاهن في عهد الناموس كانت أفضل بكثير من خدمة اللاوي. فاللاوي كان يخدم، أما الكاهن فكان يقترب إلى الله بموجب المسحة التي مُسح بها. ونحن اليوم نشبه اللاويين عند ممارسة المواهب، ونحن

جميعًا كهنة في السجود، فمن يشترك بالروح في السجود لا يشترك فيه على أساس الموهبة[1] التي هي مقدرة أو قوة يهبها الله. ولكن على مقياس الروحانية التي يهبنا الاستطاعة لنكون لسان حال الجماعة. فالأسلوب الذي به يجب تقديم السجود لله، هو أن يعمل الروح في الإنسان الروحي ليعبر عن عواطف الجماعة. سبق وأن ذكرنا أن ذبيحة المسيح هي الأساس والقاعدة لكل سجود مسيحي، وكل مؤمن يسلم بهذا وبناء على هذه الذبيحة أصبح في الإمكان الاقتراب من الله الذي وفيت مطالييه بالتمام. ولكن ليست هذه كل الصلة بين ذبيحة المسيح والسجود لأن المسيح قد فتح لنا الطريق الحي الجديد بالحجاب الذي هو جسده، فأصبحت لنا الحرية الكاملة للدخول إلى الأقداس بالدم. ولكن هل هذا هو الكل؟ أتنسى ذبيحة المسيح الكريمة في ذاتها، وقد دخلنا بفضل قيمتها إلى "قدس الأقداس"؟ كلا بكل يقين. فإننا لا ندرك قيمتها إلا في قدس الأقداس، فهناك نعرف فضلها حق المعرفة. أما قبل الدخول إلى هناك، فإننا نزن قيمة عمل المسيح بميزان حالة الاحتياج التي أوصلتنا إليها الخطية. أما الآن وقد أصبحنا سعداء بالشركة مع الله، ونذوق حلاوة محبته عالمين أفكاره، شاعرين بعواطفه، فإننا ندرك قيمة عمل المسيح إدراكًا فائقًا بواسطة نعمة الله التي أعلنت لنا هذا العمل. فعوضًا عن أن ننظر إليه كخطاة، وندركه كخطاة (مع كرامة هذا الإدراك)، فإننا ننظر إلى هذا العمل بعين الله، ونرى فيه ما يراه الله. وإذ نتمتع بالسلام على أساس هذه الذبيحة، فإننا نقدر قيمتها كما يقدرها الله، ونتغذى بكمالها حسب فكر الله. والروح القدس هو الذي ينشئ في قلوبنا تلك الأفكار التي تتفق مع فكر الله.

إن عمل المسيح له قيمة في نظر الله جعلت للمسيح حقًا عظيمًا في عواطف الآب. فأبن الله الوحيد الذي هو كل لذة الآب قبل كون العالم، استطاع أن يقول: «لهذا يحبني الآب، لأني أضع نفسي لآخذها أيضًا». فعمله هذا برهن تكريسه لمجد الآب تكريسًا كاملاً مطلقًا، إذ بهذا العمل قد تحول كل الشر الذي به فاز الشيطان بالسلطان والسيادة على العالم، وهذا بسببه دخل إلى العالم الشقاء والموت والدينونة، تحول كل هذا إلى إظهار لمجد الله. فبر الله، ومجده، ومحبته التي لا يمكن التوفيق بينها في وسط الخطية، وقد وفق بينها المسيح إذ رضي أن يُجعل خطية لأجلنا. ثم

---

[1]– السجود يكون كاملاً في كل أجزائه بدون ممارسة مواهب الوعظ أو التعليم لأنه كامل في ذاته. فإذا كان أصحاب المواهب يمارسون مواهبهم على سبيل العادة، فغنهم يشوهون بذلك صورة السجود الحقيقي ومفهومه. ذلك لأن الحرية هي للروح القدس، فإن رأى الروح أنه من المناسب في تلك الفرصة أن يقدم كلمة وعظ أو بنيان للجماعة كان بها. ولكن إن استطاعت الجماعة أن تقدم السجود بدون وعظ، كانت النفوس في حالة سامية جدًا، لن النفس في هذه الحالة تنشغل انشغالاً مطلقًا بالشركة مع الله متمتعة بشخصه بالنعمة.
ولا يستثني من ذلك من كان يصلي بلسان، فإن اللغة التي يعرفها بمثابة (إعلان). وهذا يؤكد أن الساجد لا يسجد على أسا الموهبة، بل على أساس الكهنوت الروحي.

إذا افتكرنا في شخصه، وأنه عمل الكل وتألم لأجلنا فأية قيمة عظمى تصبح لموته في نظرنا عند ذاك؟ فضلاً عن كونه غلب قوة الشيطان وأبطل الموت وصيره ربحًا لنا، وأزال الحجاب الذي كان بيننا وبين حضرة الله. فيالفضل الصليب، ويالسموه إذ فيه قد أكمل كل شيء ومهما ضعفت قدرتنا على المجاهرة، وضعفت قلوبنا وضاقت عن أن تسع الإحساسات التي يوحيها فينا منظر الصليب، فإن عبادتنا مرتبطة به حقًا، إذ هناك تمجد الله الذي نعبده. ولولا الصليب ما أشرق مجد الله تمامًا، بل هنالك –في الصليب– تعلمنا تمامً من هو الله.

فضة مصفاة:

طريق القداسة

« وَإِنْ أَعْثَرَتْكَ عَيْنُكَ فَاقْلَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ...»

في هذا الاصحاح نرى الرب يسوع يستخدم صورة تصويرية بليغة يُعلم بها تلاميذه –ونحن من بعدهم– دروسًا على درجة كبيرة من الأهمية. وكم هو امتياز عظيم لنا أن نتلقى التعليم من شخصه الكريم، وأن نحمل نيره على أكتافنا.

لقد علمنا الرب في مطلع هذا الاصحاح الاحتراس في نظرتنا إلى أنفسنا ونظرتنا إلى التلاميذ الآخرين. وها هو الرب الآن يشدد على حاجتنا الفردية الماسة إلى الحكم الجذري على ذواتنا، لأن ذلك العدو متربص بنا، وهو يريد أن تعطيل مسيرتنا كتلاميذ للسيد (والتلمذة تشمل التبعية والتعلم عند قدميه)، والعدو عندما يحاول الإيقاع بنا، فإنه يستخدم ما فينا، وما في حياتنا من أمور ليضع بها أمامنا العثرات والمفشلات.

وقد علمنا الرب له المجد أنه لن يمكننا تجنب التعرض لتجارب العدو التي من المحتمل أن توقع بنا. لكن المهم الآن هو: هل أنا مستعد لمواجهة مثل هذه التجارب الخطيرة؟ وهل أتجاوب في أعماقي مع هذه التجربة، وأدعو العدو ليكون له تأثيره المدمر على حياتي الروحية، ويعطلني بذلك عن النمو، وعن حياة التلمذة وتبعية الرب بأمانة؟ أم تُرى أحكم على نفسي بلا هوادة في نور حضرة الله، وأتوقف فورًا عن الاسترسال في التجربة التي يرد الشيطان أن يوعني بها، محولاً مسار حياتي عن الرب؟ إن ما أعمله بيدي (الأفعال)، أو بقدمي (الظروف والمناسبات المختلفة)، أو بعيني (التوجه الذهني) ربما لا تكون خطية في حد ذاتها ولا تؤذي أحدًا. إلا أنها طالما كانت تعوق مسيرتي كتلميذ لسيدي، فعلي أن أتوقف عن مثل هذه الأمور على الفور.

وأن نعمل هذا لهو أمر في غاية الأهمية أيها الأحباء. ليس فقط لنخلص أنفسنا من سقوط كبير وفشل متكرر، وإنما لننجح في أن نكون بركة –لا عثرة– لمن حولنا، من أولادنا، وأخوتنا الشبان؛ الذين ربما يميلون لتقليد تصرفاتنا، فيقعون بالتالي في ذات الشرك الذي تعودنا نحن السقوط فيه.

تأملات هادئة

ويومًا ستنتهي الحرب

«اَللهُ لَنَا مَلْجَأٌ وَقُوَّةٌ. عَوْنًا فِي الضِّيْقَاتِ وُجِدَ شَدِيدًا. [2]لِذلِكَ لاَ نَخْشَى وَلَوْ تَزَحْزَحَتِ الأَرْضُ... مُسَكِّنُ الْحُرُوبِ إِلَى أَقْصَى الأَرْضِ... كُفُّوا وَاعْلَمُوا أَنِّي أَنَا اللهُ. أَتَعَالَى بَيْنَ الأُمَمِ، أَتَعَالَى فِي الأَرْضِ. رَبُّ الْجُنُودِ مَعَنَا. مَلْجَأُنَا إِلهُ يَعْقُوبَ» (مز٤٦: ١، ٢، ٩-١١)

يالها من كلمات ثقة معزية لشعب الله على مر السنين وهي أعداد يمكن أن تنطبق أيضًا على يومنا الحاضر انطباقًا عجيبًا. فوسط عالم مضطرب هائج، كم نحتاج لأن نستمع مجددًا إلى كلمات الرب: «لا تضطرب قلوبكم». نعم بإمكاننا أن نثق في الرب في أمان، ونمسك بوعوده الثمينة الأمينة بالإيمان، ونتمسك بأقواله الصادقة التي لا تتغير على مدى الزمان.

ونحتاج إلى وقت لنكف، ونقف أمامه هادئين (Be still)، لنذكر من هو، ونعي مقاصده لجل خاصته الذين في العالم، وهي مقاصد أعظم وأكثر جدًا مما نطلب أو نفتكر. وألم نختبر أمانته في كل الماضي –أيها الأحباء– إذًا فلنثق فيه للحاضر والمستقبل، إذ يبقى –له المجد– هو هو أمسًا واليوم وإلى الأبد، لا يعتريه تغيير أو ظل دوران.

وعندما نتطلع حولنا، ونفكر في كل الحروب وأخبار الحروب التي تملأ الأرض رعبًا وفزعًا وهلعًا ودمار ومآس؛ كم يطيب لنا أن نعرف ذلك الشخص الذي سيأتي على هذه الأرض في مُلك المسيا. لكن نصيبنا نحن يظل أعظم الكل، إذ سنكون معه ومثله وسنملك أيضًا معه.

ليت الرب يكون من الآن ملجأنا وقوتنا، ونصيب قلوبنا وموضع ثقتنا، حتى نراه وجهًا لوجه في المجد عن قريب جدًا.

- ما هو الصليب؟

جرت العادة في أيام حكم الإمبراطورية الرومانية قديمًا على استخدام الصليب وذلك في تنفيذ الأحكام الجنائية كوسيلة للإعدام. وكان يتعين على الجاني أن يحمل الصليب في شوارع المدينة ليعلن للجميع بذلك بأنه سيموت بعد قليل.

وعندما يصل إلى موضع الصلب. يوضع المذنب على الصليب، ويثبت على هذه الخشبة بواسطة مسامير ضخمة تخترق يديه ورجليه. ثم يُرفع الصليب بعد ذلك ويثبت في حفرة خاصة. وعندما يلمس الصليب قاع الحفرة، عادة ما يسبب ذلك في اهتزاز جسد الضحية وانفصال عظام المصلوب عن بعضها. ويالها من آلام رهيبة مبرحة! ثم يأتي بعد ذلك دور العطش الرهيب نتيجة الشمس الحارقة والآلام المذيبة. لقد كانت عملية الصلب عذابًا خالصًا وكان الوضع يستمر على ما هو عليه إلى النهاية، حيث يرحم الموت الضحية من كل هذا العذاب. ويقينًا فإن الطرق الحديثة في تنفيذ أحكام الإعدام أكثر رحمة من كل هذا!

- صليب المسيح

يسوع المسيح هو ابن الله الكائن في كل زمان ومكان، وهو ليس مخلوقًا؛ بل هو الخالق بذاته، وفي (إشعياء٩: ٦) نقرأ أنه يُدعي «إلهًا قديراً»، لكنه أتى في صورة إنسان لكي يموت موت الصليب (أنظر في٢: ٥-٨).

لماذا كان يجب عليه أن يموت؛ وهو الإنسان الوحيد الذي بلا خطية؟ الجواب: لأنه الوحيد الذي يصلح بديلاً عنا، ويقول الكتاب المقدس: «لأَنَّهُ(الله) جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً(يسوع المسيح)، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ» (٢كو٥: ٢١). وقبل ذلك بمئات السنين تنبأ إشعياء قائلاً: «أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا، وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَابًا مَضْرُوبًا مِنَ اللهِ وَمَذْلُولاً. وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا. [٦]كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا» (إش٥٣: ٤-٦). وفي ضوء هذه المشاهد المقدسة يمكننا أن نردد مع الرسول بولس قوله: «الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ، [٤]وَأَنَّهُ دُفِنَ، وَأَنَّهُ قَامَ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ حَسَبَ الْكُتُبِ» (١كو١٥: ٣، ٤)، وخصص بولس عمل المسيح لنفسه مع زمرة المؤمنين، فكتب قائلاً: «ونحن بعد خطاة

مات المسيح من أجلنا» (رو٥: ٨)..إذًا فقد مات المسيح يسوع الرب على الصليب ليخلص الخطاة. هذا هو صليب المسيح ولكننا نقول مع الأسف أنه:

- يالحمق الذين سيهلكون!

أولئك الذين يرون في تقديرنا لصليب المسيح، وفيما يمثله لنا من مغزى عميق، وفي الكرازة به جهلاً عظيمًا! إنهم يصرخون "ماذا تقولون؟ إنكم تهذون!" ويعيشون حياتهم كما لو لم تكن هناك سماء أو جحيم، أو عذاب أبدي ينتظر هؤلاء المساكين. فهل تفكر أنت بهذه الطريقة؟ إن كنت تفكر كذلك فالكتاب يعلن لك بصراحة وبوضوح أن هذا يعني أنك من فريق الهالكين؛ أي الذاهبين إلى الجحيم الأبدي. وإن كان هذا هو موقفك، فإني أرجوك مُخلصًا أن تعيد النظر الآن في موقفك هذا، إذ أنك مدعو لأن يكون لك نصيب معنا نحن.

- المخلصون

ومنذ موت المسيح على الصليب، ونفوسًا بلا حصر على مدى العصور والأجيال، جاءت إليه عند الصليب بالتوبة والإيمان، وقبلته مخلصًا شخصيًا لحياتها، ونالت غفران خطاياها، وعرفت معنى السلام والفرح والحياة الأبدية، وهي تعيش في أجواء الوطن السعيد في السماء، ذلك الرجاء الوشيك الذي يلي رحلة البرية في هذا العالم الموحش. ولتلاحظ أن الكتاب يقول عن كلمة (أو رسالة) الصليب أنها قوة الله لنا نحن المُخلصون. فهل خلصت أنت؟

«إِنِ اعْتَرَفْتَ بِفَمِكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ، وَآمَنْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّ اللهَ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، خَلَصْتَ» (رو١٠: ٩)

فلما رأى يسوع أمه قال

«وَكَانَتْ وَاقِفَاتٍ عِنْدَ صَلِيبِ يَسُوعَ، أُمُّهُ، وَأُخْتُ أُمِّهِ مَرْيَمُ زَوْجَةُ كِلُوبَا، وَمَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ. فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ أُمَّهُ، وَالتِّلْمِيذَ الَّذِي كَانَ يُحِبُّهُ وَاقِفًا، قَالَ لأُمِّهِ: يَا امْرَأَةُ، هُوَذَا ابْنُكِ. ثُمَّ قَالَ لِلتِّلْمِيذِ: هُوَذَا أُمُّكَ. وَمِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ أَخَذَهَا التِّلْمِيذُ إِلَى خَاصَّتِهِ.» (يو١٩: ٢٥-٢٧).

تأملنا في الحلقتين السابقتين في الموقف النبيل للمطوبة مرين، موقف الوفاء والولاء نحو المتألم القدوس، موقف الشجاعة والثبات أمام الخطب الجلل. لكننا في هذه الحلقة سنركز النظر على المسيح نفسه. لقد أشرنا فيما سبق إلى آلام المطوبة مريم، أما هو، وأما آلامه فمن فينا يقدر أن يدركها؟ لقد كانت تلك الآلام كافية لتجعله ينسى في سعيرها كل شخص وكل شيء حوله! لقد تحدثنا في الحلقة السابقة عما عملته المطوبة مريم لأجله؛ لقد عملت كل ما كانت تستطيع أن تعمله. أما هو ؛ ذلك المصلوب، وأما ما عمله هو لأجلها ولأجل كل البشر، فلقد كان يعمل ما يستطيع وحده أن يعمله، وما لم يكن الجميع سواه يستطيعون أن يعملوه. وبالإجمال نقول إن ما عملته هي كان الإخلاص. وأما ما عمله هو فكان الخلاص!

لقد كان المسيح كمال الكمال في كل شيء وقبل مولده بمئات السنين قال عنه إشعياء النبي «ويُدعى اسمه عجيبًا» (إش٩: ٦). أكان يمكن أن ذلك الكامل العجيب لا يهتم بأمه؟ لقد ذكر قاتليه فهل ينسى أمه؟ أكان يمكن أن ينسى تلك الأم الحزينة الواقفة عند الصليب؟!

قال واحد ’’في حياة ربنا يسوع المسيح من أولها إلى آخرها نجد مزيجًا عجيبًا من العظمة والاتضاع، فإذا لمع شعاع من أمجاد لاهوته مضيئًا مبرقًا لا نلبث أن نراه إنسانًا مثلنا من لحم ودم’’ وهو عين ما نراه هنا عند الصليب.

عندما صلي المسيح وهو فوق الصليب من أجل أعدائه فهذا كان من صميم رسالته كقول الوحي: «وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين» (إش٥٣: ١٢). وإن كان قد أهتم بلص تائب وثق فيه فهذا أيضًا يتفق ورسالته كمخلص كقوله هو: «لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك» (لو١٩: ١٠). لكن أن يهتم في ساعة كهذه بأمر عائلي، ويكرس بعض وقته لشأن من شئون الحياة العادية فهذا هو الكمال الإنساني بعينه.

لاحظ أحدهم أن الرب يسوع من فوق جبل الموعظة وهو يلقي موعظة الجبل الواردة في (مت٥-٧) أضفى أبعادًا عظيمة ومجيدة على كل وصايا الناموس تقريبًا، باستثناء الوصية الخامسة التي

تقول: «أكرم أباك وأمك» . لكن ما لم يقله الرب من فوق الجبل قاله من فوق الصليب، لا كمعلم قدير بل كمثال ليس له نظير، إن سيدنا هنا بمثاله الرائع يضفي على تلك الوصية ما لم يكن ممكنًا أن تفعله أقوى العظات ولو استغرقت ساعات وساعات.

«فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ أُمَّهُ، وَالتِّلْمِيذَ الَّذِي كَانَ يُحِبُّهُ وَاقِفًا، قَالَ لأُمِّهِ: يَا امْرَأَةُ، هُوَذَا ابْنُكِ». فمع علم الرب أنه قديسة لكنه لم ينسى أنها امرأة وأنها أم. وأي أم ممكن أن تتحمل موت أبنها أمامها، لاسيما إذا كان –تبارك اسمه– كالتفاح بين شجر الوعر كذلك (هو) بين البنين؟! لهذا يقول الوحي: «وَمِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ أَخَذَهَا التِّلْمِيذُ إِلَى خَاصَّتِهِ».

ومن هذا نفهم أنها كانت محتاجه إلى رعاية رجل يتولى الاهتمام بشئونها، فهي ليست كما يفتكر البعض حامية الكنيسة ومُعينة الآخرين. لقد أخذها التلميذ إلى خاصته فيوحنا هو الذي أخذ المطوبة مريم لعنايته، وليست هي التي أخذت يوحنا لعنايتها. وهي إن كانت تحتاج لعناية غيرها من جهة الزمان، فكيف تُعين غيرها من جهة الأبدية؟!

وهنا أختم تأملاتي بالعودة مرة ثانية إليه هو. فإن القلب الذي أشفق حتى وهو على الصليب لازال يُشفق على كل متألم ويرثي لكل مُجرب. إنه يحيط باهتمامه وعنايته كل خاصته الذين في العالم الذين أحبهم إلى المنتهي (يو١٣: ١) لأنه قال مرة «إن من يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي» (مت١٢: ٥٠).

فليتشجع وليتعز المحزونون والمحتاجون لمن يهتم ويرثي، وليتعلموا أن يلقوا كل رجائهم عليه هو.

قلبك ينبض حنانًا حتى من فوق الصليب
يدك تجرح وتعصب أنت إلهي الحبيب

قف وتأمل بقلم: ر.م.ا.م.

يبحث جميع البشر عن السعادة، وقديمًا قال قديس حكيم: ‘‘إن الله قد خلقنا لذاته، ونفوسنا لا تجد راحتها وفرحها إلا فيه’’ لقد خلق الله الإنسان لتكون له شركة معه وعلاقة وطيدة به. ولكن الإنسان –بكل أسف– أختار لنفسه طريق العصيان وفعل الإرادة الذاتية، ولم تعد للإنسان علاقة بالله، إذ أن طبيعة الإنسان الخاطئة قد فصلته عن الله تمامًا.

والكتاب المقدس يعلمنا أن الله بار وقدوس ولا يطيق الإثم. والخطية قد فصلتنا عن الله، وجلبت الغضب الإلهي علينا جميعًا «النفي التي تخطئ هي تموت» (حز١٨: ٤). والخطية هي نبع جميع المشاكل في هذا العالم المسكين. لقد أفقدت الإنسان كرامته وعقله، إرادته وإحساسه الروحي بالله، وما لم يتحول الإنسان بكل قلبه إلى الله طالبًا الرحمة والغفران، فلن يستعيد الإنسان أيا مما فقد. وما أثمن ما فقده!

قال المسيح: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي» (يو١٤: ٦)، وبموته له المجد على الصليب، تأسس طريق الرجوع إلى الله، وتم بدمه المسفوك هناك فداء الإنسان الخاطئ إذ أنه له المجد «الَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ، لِكَيْ نَمُوتَ عَنِ الْخَطَايَا فَنَحْيَا لِلْبِرِّ. الَّذِي بِجَلْدَتِهِ شُفِيتُمْ» (١بط٢: ٢٤).

هناك كثيرون يقرون بحفظ الوصايا، ويواظبون على حضور الاجتماعات الكنسية، ويعملون الأعمال الصالحة. وهذه الأمور تبدو أنها حسنة في ذاتها، ولكنها لا تستطيع أن تخلصنا من خطايانا، يقول الكتاب: «لأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ لاَ يَتَبَرَّرُ جَسَدٌ مَا» (غلا٢: ١٦). فالناموس أو الوصايا مرآة أدبية تكشف لنا خطايانا، ولكنها لا تعطينا القوة لنتحرر منها. ويقول الكتاب أيضًا «لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَال كَيْلاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ» (أف٢: ٨، ٩). «فَتُوبُوا وَارْجِعُوا لِتُمْحَى خَطَايَاكُمْ» (أع٣: ١٩) إذًا فالتوبة هي طريق الرجوع إلى الله.

والتوبة تعني تغيير الإتجاة في الفكر والإرادة والشعور؛ رجوعًا إلى الله. إنك عندما تتوب فإن نظرتك إلى الله تتغير كلية، وإذ تكون توبتك من كل قلبك، فسرعان ما ستجد نفسك مغمورًا بحالة من الشكر القلبي العميق لله في أعماقك. وهننا تختبر عمليًا كراهية الخطية، ومحبة البر. كما ستتغير إرادتك أيضًا إذ سينشأ فيك توجه صادق لطاعة المسيح وتبعيته «إِذًا إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ» (٢كو٥: ١٧).

إن الرب يسوع المسيح وحده هو القادر أن يحفر الفرح في قلبك، ويضع ترنيمة في فمك، ويرسم ابتسامة على شفتيك. وهو وحده الذي يعطي لحياتك قيمة حقيقية، ومعنى تستحق أن تحيا لأجله وهو يقول: «تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ» (مت١١: ٢٨). وإذ يمتلك المسيح حياتك، سرعان ما تتولد في أعماقك قوة إلهية تعينك على مواجهة التجارب والصعوبات كقول الكتاب: «لَمْ تُصِبْكُمْ تَجْرِبَةٌ إِلاَّ بَشَرِيَّةٌ. وَلكِنَّ اللهَ أَمِينٌ، الَّذِي لاَ يَدَعُكُمْ تُجَرَّبُونَ فَوْقَ مَا تَسْتَطِيعُونَ، بَلْ سَيَجْعَلُ مَعَ التَّجْرِبَةِ أَيْضًا الْمَنْفَذَ، لِتَسْتَطِيعُوا أَنْ تَحْتَمِلُوا» (١كو١٠: ١٣).

ولا يكفي أن تعرف أن المسيح مات لأجل الجميع بصفة عامة. بل يجب أن تؤمن من قلبك أنه مات من أجلك أنت بصفة شخصية. يجب أن تراه على الصيب معلقًا لأجل خطاياك؛ حاملاً أجرة آثامك وتعديك على وصايا الله، عاملاً الكفارة لنفسك الخالدة بدمه الكريم، وعندئذٍ تدرك بفرح معنى القول المقدس: «إِذًا لاَ شَيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ الآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (رو٨: ١).

إن ذاك المجيد الذي قال عن نفسه في (رؤ١: ١٨) أنه الحي وكنت ميتًا، وها أنا حي إلى أبد الآبدين، واقف الآن على باب قلبك وحياتك وهو يقول: «هنَذَا وَاقِفٌ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعُ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلُ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي» (رؤ٣: ٢٠) أ تفتح له باب قلبك الآن وتقبله بالتوبة والإيمان، قبل ضياع الفرصة وفوات الأوان؟

وبعد أن يدخل المسيح حياتك، هناك بعض الخطوات الهامة التي ستساعدك كثيرًا على النمو في الحياة الروحية:

- صل يوميًا بانتظام.
- اقرأ في الكتاب المقدس يوميًا.
- اشهد للآخرين عن المسيح.
- لتكن لك شركة مع مؤمنين آخرين أمناء حول الرب للعبادة، وفي مجموعات للخدمة والكرازة للآخرين، باحثًا عن الخطاة البعيدين لتقودهم إلى المسيح.

للمتجددين حديثًا

السلام

الله وحده هو الذي يعطي الضمير سلامًا، وقد فتح لنا مكنونات قلبه بنعمته في كلمته، فلتثبت نظرك يا أخي المؤمن على أقوال الله في كلمته، وثق في شخصه الكريم. في (أع١٠: ٣٦) نقرأ: «الْكَلِمَةُ الَّتِي أَرْسَلَهَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ يُبَشِّرُ بِالسَّلاَمِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ»، وعندما يكرز الرب بالسلام ويعد به، هل تشك في هذه العطية بعد؟

ولكن ما هو السلام؟ عندما تقول في أحيان كثيرة أنك لا تمتلك السلام، فإنك تعني أنك لا تشعر به؛ لا تشعر بغفران خطاياك، وأن لك سلامًا مع الله...صحيح أن هذه المشاعر لها أهميتها المعنوية، لكن هذه المشاعر تظل تأثيرًا ثانويًا للسلام مع الله بالرب يسوع المسيح، السلام الذي لا يعتمد على أحاسيسك أو مشاعرك. وما تشعر به ليس هو السلام في مفهوم الكتاب المقدس.

لقد صنع لنا الرب الصلح (السلام) بدم صليبه (كو١: ٢٠)، وقد أصبح هذا السلام نصيبًا لنا من ذات اللحظة التي فيها قبلناه في قلوبنا في بساطة الإيمان، وقبول كلمة الله. وهذا ليس أمرًا تشعر به، بل بالحري تعرفه كحقيقة إيجابية في كلمته. لقد أخطأنا إلى الله جميعًا، وقد عشنا حياة الخطية والتمرد على الله، وكان عدلاً أن نُدان اسبب خطايانا هذه التي يكرهها الله ويبغضها تمامًا. ولكنه –تبارك اسمه– قد أحبنا، وتحنن علينا في رحمته، ولم يشأ أن يهلكنا بغضبه، بل أنقذنا بفدائه وعمل محبته، ولا توجد وسيلة بها نُقبل عند الله خلاف ما عملة الله لأجلنا إذ على الصليب لم يمسك ابنه الوحيد الحبيب عنا بل بذله لأجلنا أجمعين (رو٨: ٣٢) فماذا كان بوسعنا أن نعمل لنتخلص من خطايانا؟ وهل كان ممكنًا أن يقبلنا الله ونحن في حالة النجاسة والزيغان؟ أم كان ممكنًا أن يتنازل الله عن مطاليب قداسته وعدله؟ لا شيء من كل هذا بالطبع كان ممكنًا، ولم يكن ممكنًا أيضًا أن نقدم شيئًا لائقًا لله، أو برًا يشبع قلبه ونحن خطاة فجار. وكان المسيح «كفارة لخطايانا» (١يو٤: ١٠)، كان هو العلاج الإلهي والطريق الوحيد لنا للنجاة، إذ فيه وفي عمله على الصليب التقت قداسة الله ومحبته، عدله ونعمته. والآن يتبرر الله في قداسته في خلاص نفوسنا وتبريرنا على أساس ذبيحة المسيح الكفارية، بل ويفيض قلبه من نحونا بكل جود وسخاء.

لقد ارتضى الله تمامًا بدم المسيح؛ لدرجة أنه يبرر الآن كل من يقبلون المسيح مخلصًا شخصيًا لحياتهم. فلماذا نبدو أحيانًا وكأننا لا نرتضي ولا نكتفي بما اكتفى به الله نفسه؟ يقينًا إن ما أشبع الله وأرضاه، لابد أن يكون كافيًا لنا ولإرضائنا. فياليت قلوبنا وضمائرنا تستريح على أساس كلمة الله الراسخة، وعمل المسيح الثمين.

ولقد أُقيم المسيح من الأموات بمجد الآب، وجلس عن يمين العظمة في الأعالي برهانًا على رضى الله الكامل على عمله العظيم ودمه الكريم. والآن جاء دورك لترضى وتكتفي، لتلقي نفسك بالتمام بين ذراعي الإله الرحيم، ورئيس الكهنة العظيم. وتثق في نظرة الله لك الآن وأنت في دائرة الإيمان، إذ أنت ابن الله، غالٍ جدًا على قلبه، وروحه القدوس ساكن فيك، وقد نلت الخلاص الأبدي والحياة الأبدية.

أخي الحبيب: عوضًا عن أن تنتابك مشاعر الخوف والشك والحزن، والتساؤلات التي لا تجد في نفسك جوابًا لها، لماذا لا تذهب إلى الله وتقتنع بكفاية عمل المسيح. قل له "يا رب يكفي ما عملت لأجلي...أنا الخاطئ مات المسيح لأجلي!" وعندئذٍ ستختبر بنفسك السلام المنشود كحقيقة بسيطة ناتجة عن تصديقك القلبي لكلمة الله ل لمشاعرك وأحاسيسك المتقلبة، التي قد تشعر بالسلام حينًا، وتفقد الإحساس به أحيانًا. لكن كلمة الله ثابتة لا تتغير، وإن وضعت ثقتك كاملة فيها، في أن المسيح قد صنع لنا (السلام) بدم صليبه. فيالها من راحة ستختبرها نفسك، ومتاعب ستتجنبها في حياتك. يقول الكتاب: «بِهذَا(بالمسيح) يَتَبَرَّرُ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ مِنْ كُلِّ مَا لَمْ تَقْدِرُوا أَنْ تَتَبَرَّرُوا مِنْهُ بِنَامُوسِ مُوسَى» (أع١٣: ٣٩).

ليتنا نثق في ربنا يسوع المسيح، ونستريح في محبته، بقلوب راضية مكتفية بعمله الثمين ودمه الكريم. وهذا هو الإيمان، وهو وحده الذي يعطينا السلام مع الله، ويجعلنا نختبره كحقيقة مؤكدة ثابتة لا تتغير بتغير حالتنا العملية، بل ثابتة ثبات كلمة الله الراسخة.